محافظة البيضاء أصالة تاريخية.. وحضارة عريقة

في محافظة البيضاء عبر الفترة الزمنية الطويلة تلاحقت حضارات عديدة على منطقة ردمان القديمة

في إطار اهتمامات صحيفة «الثورة» بضرورة تزويد القارئ الكريم بمعلومات تاريخية وحديثة عن محافظات الجمهورية نواصل نشر هذه الحلقات من خلال استعراضنا لكتاب «نتائج المسح السياحي» الصادر عن الهيئة العامة للتنمية السياحية.. فيما يلي نسلط الأضواء على محافظة «البيضاء» :

إعداد / رياض شمسان ٢-٢

رابعاً: مديرية مسورة

١- شيعان:

● عبارة عن أنقاض مدينة أثرية تاريخية قديمة، حيث توجد بعض الدلائل التي تشير إلى عصور ما قبل الإسلام مثل وجود بعض النقوش المسندية التي ترجع إلى فترة التاريخ اليمني القديم ومن خلال اللقى الأثرية على سطح الموقع يمكن من خلالها إرجاع تاريخ الموقع إلى فترة الدولة الحميرية.

خامساً : مديرية السوادية

أ- ردمان (المعسال):

تقع منطقة ردمان القديمة - حاليا المعسال- إلى الشرق من رداع ضمن مديرية السوادية في منتصف المسافة بين مدينة رداع ومدينة البيضاء وهي منطقة (ردمان وذي خولان) كما تسميها النقوش المسندية أو منطقة (ردمان وقرن) كما يسميها الهمداني حيث يشير في مؤلفه الاكليل الجزء الثامن: (ردمان كلها حصون مجهلة منها ذو خير ومنحر وقرن وذو يزن وذو حسل، ومنها قصر وعلان بردمان وهو عجيب وهو قصر ذي معاهر ومن حوله أموال عظيمة).

وكما يشير ا لدكتور يوسف محمد عبدالله في مدونة النقوش اليمنية القديمة انه من خلال دراسة النقوش التي عثر عليها في منطقة ردمان وقاع المعسال اتضح أن اللهجة تختلف فيها نظراً لأن المنطقة تقع وسط مناطق النفوذ التابعة لمراكز حضارات اليمن القديمة سبأ وحضرموت وقتبان ثم بعد ذلك حمير وقد خضعت في فترات من تاريخها لكل من مراكز الحضارات السابقة ولذلك عثر في كتابات تلك النقوش تارة بلهجة السبئ وأخرى بلهجة الهاء وقدتجتمع اللهجتان في نقش واحد، رغم إنها سبئية في جملها إلا أنها بفعل توسط المنطقة فقد كانت مسرحا للتحركات السياسية ومعبرا لها مما اثر على مزيج من خصوصياتها الاجتماعية وتداخل اللهجات القديمة فيها.

وتمت في هذه المنطقة دراسات علمية نظرية وميدانية وبناءً على نتائج العينات العضوية التي أجريت عليها تحليلات معملية مستفيضة في المعامل الامريكية توصل الدكتور عبده عثمان غالب في بحوثه العلمية للمنطقة والتي نال بموجبها درجة الدكتوراة إلى حقائق علمية هامة تكشف جانبا من الغموض الذي يحيط بتاريخ الانسان اليمني القديم وكيفية تواصل حلقات تطوره الحضاري منذ المراحل التاريخية الأقدم (للألف الخامس قبل الميلاد).

ومن تلك الحقائق أن بلاد اليمن عرفت النشاط الزراعي كغيرها من بلدان الشرق القديم منذ فترة التحول الاقتصادي والمعيشي في (الألف السادس والألف الخامس قبل الميلاد) وأن الزراعة كانت تمارس كنشاط اقتصادي وبمستوى مزدهر وباستعمال سيل الري منذ (الألف الرابع قبل الميلاد) ليس في المشرق فحسب وإنما في مناطق المرتفعات اليمنية مثل منطقة ردمان القديمة في المرتفعات الشرقية من الهضبة اليمنية التي غطت الدراسات العلمية فيها فترة زمنية طويلة تمتد من (الألف الرابع قبل الميلاد) حتى (العصر الأول للإسلام) وهي فترة زمنية كافية لتحديد البدايات الأولى للزراعة وتتبع مسار تطورها التكتيكي المتصل بالظواهر الإجتماعية والاقتصادية ومن خلال دراسة وتحليل الدلائل الجيومورفولوجية الأثرية ، أوضحت ايضا أن الزراعة بدأت في المناطق المرتفعة من الهضبة الشرقية في حوالي (الألف الرابع قبل الميلاد) وانتشرت إلى الوديان الأقل ارتفاعا في الهضبة الشرقية في حوالي (نهاية الألف الثالث قبل الميلاد) واستمر الانتشار والتطور التدريجي لأنظمة الزراعة والري حيث امتد إلى وديان الأراضي المنخفضة الواقعة على حواف رملة السبعتين في حوالي (النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد).

كما اثبتت الدراسات العلمية ان نمط الاقتصاد الذي ساد خلال فترة (الألف الخامس قبل الميلاد) كان يعتمد في الأساس على الصيد وجمع الثمار الطبيعية واستمر هذا النمط الاقتصادي حتى تم الانتقال الى النمط الاقتصادي والزراعي المستقر تدريجيا الذي شمل معظم فترة (الألف الرابع قبل الميلاد) وقد تلازم هذا التحول الاقتصادي مع استيطان حضري حيث شكلت تلك المستوطنات الحضرية النواة الأولى للقرية الزراعية التي نمت وتطورت خلال تلك العصور التاريخية .

ونظرا لاختلال التوازن بين التكاثر البشري والمصادر الطبيعية للغذاء حدثت هجرات سكانية داخلية نحو أراض جديدة صالحة للزراعة وتم استصلاحها وشكل الانتاج فيها فائضا في المحاصيل يفي بحاجة سكان القرى الزراعية التي كانت الاساس للتطورات الاجتماعية اللاحقة وتوافقها مع تطور قدرات الانسان اليمني القديم ونمو معارفه لنظم الري والزراعة المتطورة.

- أهم المعالم الاثرية والتاريخية:

تلاحقت حضارات عديدة عبر الفترة الزمنية الطويلة على منطقة ردمان القديمة وتركت شواهد أثرية عديدة تتمثل في بقايا آثار القصور والمعابد والمقابر القديمة والقلاع والحصون بالاضافة إلى بقايا آثار منشآت السدود وقنوات الري وتؤكد ذلك نصوص النقوش المسندية القديمة التي لازالت موجودة حتى اليوم في صخرة قاع المعسال « وعلان » وصخرة نقيل نجد عمد المجانح وغيرها وجميعها تشير إلى أنها قامت في هذه المنطقة مدينة وعلان في جبل وعل القائم وسط قاع المعسال والمنطقة المحيطة والمطلة على سهل القاع الواقع في شرق مديرية السوادية حيث تحيط به قرى عمد المجانح وسارع وبيت الجبري.

◁ موقع فجير السد:

حيث تم استصلاح أراض واسعة للزراعة وفيه يقع سد المعسال الذي كان ينظم المياه من مساقطها في الجبال المحيطة بالقاع وكان يقوم بتصريفها عبر قنوات لري أراضي قاع المعسال وفي حالة فيضان المياه عن الحاجة كان يتم تصريفها إلى خارج القاع شمالا.

◁ موقع نقيل نجد عمد المجانح:

يقع بين سهل المعسال وبين قرية عمد المجانح الحالية المجاورة لمديرية السوداية.

(و ع ل ن)- وعلان - الاسم التاريخي لهذا الموقع الاثري والمسمى اليوم المعسال بكسر الميم ، يعود تاريخ هذا الموقع إلى الدولة القتبانية فقد ذكر في النقش الموسوم بـ(CIH.347) وذكرها الهمداني في كتابه الموسوعي الإكليل الجزء الثامن ، كما انتهت دراسة هذا الموقع من قبل البعثة الاثرية الفرنسية التي توصلت إلى النتائج التالية :-

تم تحديد بقايا المدينة الأثرية مثل (عناصر السور، الطرق المصرصوفة ، آثار المساكن وغيرها والتي تمتد مسافة (٣ كم) وكذلك وجود (١٨ لوحة كتابية) صخرية كلها تم تحديدها بعناية، كما تم اكتشاف نقوش كتابية صخرية جديدة وقد شوهد عشر كتابات غير منشورة وعدة قطع هندسية في قرية سارع وكلها ناتجة عن عمليات التنقيب السري وعن اعمال الهدم حديثة العهد للبناء في المكان المسمى صالب العليل وإحدى هذه الكتابات الجديدة مؤرخة بالتاريخ المسيحي وتعتبر أول تاريخ نحصل عليه عن (القرن الثاني) بإشراك ملحوظ للتاريخين السبئي والقتباني ، وهناك في جوار المعسال يوجد سد عظيم طوله (١٢٨ مترا) بقي منه (٦٤مترا) وارتفاع (٣,٤٠ متر) ويسمى عارم الأسعدي ويسد وادي حساية.

-لايزال قاع المعسال بأراضيه الخصبة الواسعة تحيط به المرتفعات من جميع الجهات وفي جنوب القاع الغربي ترتفع صخرة المعسال التي نقش على الجانب الجنوبي منها نقوش المعسال.

- وفي قمة الجبل الغربي وعلى صخرة ضخمة جدا يقع مبنى للسكني الملك لاتستطيع الوصول إليه إلا عبر طريق واحد ومن وسط الصخرة عمل درجاً للطلوع وبشكل ملفت للنظر في الهندسة والابداع والتخطيط الرهيب لمداخل الطريق إلى مقر إقامة الملك ، أي انه إذا نزع حجر من سلم المدخل لايمكن مواصلة الطريق إلى المبنى.

-سد المعسال : لايزال بقايا جدار السد قائما بارتفاع (متر ونصف فقط) عن مستوى قاع السد المليء بالمواد الرسوبية عبر الزمن ، كما يلاحظ بقايا آثار قنوات الري القديمة.

-توجد اربع لوحات متباعدة عن بعضها على شكل مستطيلات منظمة كتب عليها بخط المسند الحميري ونوع الخط جميل ومنظم وقد وضعت هذه الكتابة في أماكن من الصعب الوصول إليها.

◁ هجر قانية:

تقع في أقصى شمال مديرية السوادية على التماس حدودها بمحافظة مأرب ويعود اكتشاف الموقع إلى الدكتور يوسف محمد عبدالله إلا أنه مازالت عدد من النصوص غير منشورة وهي عبارة عن نصوص صخرية شوهد منها أربعة في مكان واحد يبدو انه كان معبدا صخريا مخصصاً لآلهة (الشمس) وقد بينت واحدة من هذه النصوص الأربعة وجود انشودة بالشعر الموزون والنصوص الثلاثة الأخرى عبارة عن نصوص إحياء ذكرى احتفالات كانت على مايبدو تتضمن أضاحي بشرية يوجد ايضا عدداً من الكتابات على كتل أعيد استخدامها في المساكن المجاورة الحديثة وقد تمت إعادة فحص كتابات معبد قانية ولذلك وضع مخطط هذا المعبد (١٦,٤٠ متر) × (١١,٥٠ متر).

● قلعة السوادية :

تقع فوق تبة صخرية تتكون من ثلاثة مبان في مواقع مختلفة يتكون كل مبنى من أربعة أدوار كما يوجد في وسطها مسجد صغير وسجن في الجهة الجنوبية الذي يفصله سور في وسطها كما تحاط القلعة بسور من جميع الاتجاهات ويرتفع في الجهات الشمالية والغربية إلى أكثر من (٨ أمتار) ومبنية مع سورها بالأحجار كما يوجد باب من جهة الشرق.

- سادسا: مديرية رداع

أ- مدينة رداع:

بلدة عامرة ومشهورة تقع في الشرق الجنوبي من العاصمة صنعاء ، على بعد (١٥٠ كيلو متراً) وترتفع عن مستوى سطح البحر بحوالي (٢١٠٠متر) ، وهي من المدن اليمنية القديمة ، ورد ذكرها في نقش النصر الموسوم بـ(RES.3945) الذي دونه الملك السبئي كرب إل وتر مكرب سبأ في (القرن السابع قبل الميلاد) ويقال أن الملك الحميري شمر يهرعش سكن مدينة رداع ، وهو من أشهر ملوك الدولة الحميرية وهذا دليل على قدم مدينة رداع كما يصفها بعض الكتاب بأنها بلدة طيبة الهواء كثيرة البر والاعناب والفواكه ، ويحدها من الشمال بلاد عنس ومن الشرق بلاد مراد ومن الجنوب بلاد البيضاء وبلاد يافع ومن الغرب بلاد بريم وبلاد عمار واراضي رداع تسقى من غيل الدولة وغيل المجري ومياهها تسيل إلى جهتين وهي الأودية الغربية التي تصب في وادي بناء ويريم ثم تنفذ إلى أبين فتصب في البحر والأخرى من رداع وثات والعرش والسوداية وردمان تسيل مياهها في وادي أدنة وتصب في مارب ومن اشهر جبال رداع:

- جبل براش: وهو في جنوب مدينة رداع وبه خرابة وحصون قديمة.

- جبل صباح : يقع إلى الغرب من مدينة رداع وهو ايضا به مآثر اثرية قديمة.

وكان يوجد لمدينة رداع سور يحوي على اربعة أبواب تاريخية لم يبق منها اليوم سوى بوابتين فقط ، باب مقلة ويقع في الجنوب والذي مايزال يحافظ على بداية سور المدينة والبوابة الشمالية الغربية باب الحجري ، وهي تشكل اليوم بناء منفردا يتوسط الطريق العام، وقد هدمت البوابة الشرقية وهي باب السوق ، وذلك لتوسيع الطريق أما البوابة الشمالية الشرقية ، باب شجرة فلم يبق منها إلا كومة ترابية تدل على موقع البوابة الأصلي.

وتنتشر في رداع العديد من المواقع الأثرية والتاريخية مثل : المدارس الاسلامية وقلعة رداع وغيرها من الآثار.

- ١- المدرسة العامرية:

تعد من أهم المدارس اليمنية وهي آية في الفن الاسلامي ومن روائع منشآت الدولة الطاهرية ، شيدها الملك الظافر صلاح الدين « عامر بن عبدالوهاب بن داود بن طاهر في ربيع الاول عام (٩١٠هجرية) سنة (١٥٠٤ ميلادية) وذلك حسبما دون في الأشرطة الكتابية وهو الملك الرابع لعائلة بني طاهر التي خلفت الرسوليين في اليمن ، وذلك في السنين الأولى من (القرن السادس عشر الميلادي) ، حكم «عامر بن عبدالوهاب ، حتى وفاته سنة (٩٢٣ هجرية -١٥١٧ ميلادية) ، وذلك خلفاً لوالده الملك المنصور عبدالوهاب بن داود بن طاهر عند وفاته سنة (٨٩٤ هـ - ١٤٨٩م) .

وقام الهولنديون بترميم وصيانة المبنى وهذه المدرسة تتكون من ثلاثة طوابق يعلوها ست قباب وكل قبة مقامة على دعامتين وعلى كل دعامة أقيم ستة عقود ، كما تتميز بالزخارف الجصية التي تزين الممرات والقبب والجدران الخارجية ، وقد خصص الطابق الاول الأراضي سكناً لإيواء الطلبة، أما الطابق الثاني فقد خصص للصلاة والعبادة والطابق الثالث به مقصورة وقاعة.

- الوصف المعماري:

١- الطابق الارضي: مقسم على هيئة غرف يفصل بينها جدران سميكة يدخل إليها من خلال بابين في الجدار الغربي وباب في الجدار الجنوبي وباب في الجدار الشرقي وفي الركن الجنوبي الغربي توجد حمامات « مطاهر» خاصة للطلاب تتصل بها مجاري لانتقال المياه إليها.

٢- الطابق العلوي الثاني: وقد خصص هذه الطابق للصلاة والعبادة ويتكون من بيت الصلاة هو مستطيل الشكل تغطيه ست قباب مقامة على عقود مدببة يحملها عمودان وأوجه العقود وبواطنها مزينة بزخارف جصية وملونة تتمثل بزخارف هندسية ونباتية بالاضافة إلى بعض الكتابات القرآنية كما يزين بواطن القباب مجموعة من الزخارف الملونة المتمثلة في اشكال نباتية وهندسية أما اقطاب القباب فتزينه كتابات قرآنية كتبت بخط الثلث ويدور حول جدران بيت الصلاة شريط كتابي ملون يحتوي على القاب السلطان عامر بن عبدالوهاب.

أما المحراب : فيتوسط الجدار الشمالي وهو عبارة عن تجويف بسيط حوله زخارف جصية ويفتح بيت الصلاة بثلاثة أبواب على الرواق الشمالي المحيط بالفناء ويحيط ببيت الصلاة ثلاثة دهاليز من الجهات الشرقية والغربية والشمالية.

أما الفناء "الصرح" : فهو مستطيل الشكل تحيط به أربعة أروقة ، ويفتح كل رواق على الفتاء بثلاثة عقود مدببة ترتكز على دعامات وأعمدة رخامية.

ويدخل إلى المدرسة من الطرف الجنوبي للواجهة الشرقية والمدخل بارز عن الواجهة وهو في مستوى الطابق الثاني ويصعد إليه عن طريق سلالم حجرية.

- ٢- مسجد ومدرسة البعدانية

لم يبق منها إلا جزء من إحدى الجدران الاصلية وهي أقدم مدرسة معروفة في رداع فقد بنيت في عهد دولة بني رسول ونقلت كتابة أمر بناء هذه المدرسة إلى المدرسة العامرية ووضعت فوق بابها الجنوبي ، أن هذه الكتابة منقوشة على الخشب وتعطي أسم المؤسس وتاريخ البناء « جمال الدين محمد بن عيسى البعداني » الذي أمر ببناء هذه المدرسة في شهر رجب سنة (٨٩٩ هجرية - ١٤٩٤ ميلادية)

- ٣- مسجد ومدرسة البغدادية

هي من أقدم المساجد والمدارس الاسلامية وترجع إلى عهد الدولة الطاهرية ويقال بأن زوجة الملك عامر بن عبدالوهاب هي التي قامت ببناء المسجد والمدرسة وسميت بالبغدادية نسبة إليها وهي عاصرت المدرسة العامرية واحتوت على نفس طريقة البناء والتزين بالشرائف والزخارف الجصية الداخلية.

- ٤- مسجد العوسجة

يرجع بناء هذا المسجد إلى (القرن الحادي عشر الهجري) كما قام بتوسيعة من الجهة الغربية الامام المهدي « محمد بن أحمد » ويحوي على أهم المخطوطات التاريخية الهامة.

- ٥- مسجد إدريس

يقع شمال المدينة له شكل مربع وكانت تغطيه قبة ذات أهمية كبيرة لم يبق من زخارفها الجصية الثمينة إلا بعض القطع في الجزء الشمالي الغربي من المصلى وفيما بعد لصق به قبر من الجهة الشرقية.

- ٦- قلعة رداع

تم بناء وتشييد هذه القلعة التاريخية ذات الشهرة العسكرية سابقا كحامية للمدينة ويقال بأنه تم تشييدها في عهد الملك شمر يهرعش وتم تجديدها في عهد عامر بن عبدالوهاب وتعتبر من أشهر المواقع الأثرية والتاريخية في اليمن والتي مانزال جيدة وستظل شامخة شموخ الجبال.

- ٧- مدينة ريام

ريام اسم تعدد في مواضع عديدة وكلمة ريام تعني الاماكن العالية - مثل جبل ريام في مدينة ارحب إلى الشمال من العاصمة صنعاء الذي تقع في أعلى قمته مدينة ريام التاريخية القديمة هذه المدينة التاريخية كانت تتبع الدول التاريخية القديمة في اليمن وقد اختاروا هذا الموقع نظرا لأهميته الاستراتيجية فقد تم بناء مدينة ريام وهو التاريخية على ظهر جبل ريام أكبر جبل في منطقة رداع كما ان هذا الجبل يقع في وسط منطقة خصبة زراعية قد بنوا عليه قلعة واتخذوها موقعاً عسكرياً يحمي المدينة وتوجد أطلال باقية اضافة إلى نقوش مسندية قديمة لازالت حتى الآن موجودة على الأحجار ولكن بعض الاحجار تم نقلها إلى بناء منازل الاهالي الحديثة وايضا توجد آثار السد القديم الذي يرجع تاريخه إلى عصر الدولة القتبانية.

- ٨- موكل صباح:

يقول الهمداني في كتابه الموسوعي «الإكليل الجزء الثامن » عن موكل هي بلد تقع على جبل أسود قصر اسود وما يصله من يمناه مصنعة فيها قصور وفي موكل يوجد العديد من الآثار القديمة والآكام الملبقة بالاحجار المنحوته والمباني القائمة وكريف ماء منحوت في الصخر يعود إلى العصر السبئي وهناك بقايا سور ضخم كان يحيط بالمدينة وكذلك خرائب عديدة حول القرية واحجار بلق منحوتة ومزخرفة كما كانت موكل مركزا لنشاط الدولة الطاهرية التي حكمت اليمن في الفترة (١٤٥٣-١٥٣٨ ميلادية) وفيها كانت الواقعة بين «المطهر بن شرف الدين» وبين السيد« يحيى السراجي » وذلك في (القرن العاشر الهجري).

سابعا: مديرية الزاهر

حصن قيس:

يقع في منطقة الزاهر والحصن عبارة عن اطلال حصن يرجع تاريخه إلى عهد الدولة الحميرية كما أن الملك الذي سكن حصن قيس قام بحفر نفق من الحصن إلى البئر التي في الوادي والتي تبعد عن موقع الحصن بحوالي (٦٠٠ متر) من البئر رلى قمة الجبل حيث موقع الحصن وكان يستفاد من هذا النفق النزول إلى البئر لنقل المياه إلى الحصن اثناء الحرب.

-٢- جبل سوده :

الخلفية التاريخية

يوجد بهذا الجبل منطقة أثرية على قمته ولاتزال توجد به أطلال يعود تاريخها إلى العهد الحميري وقد تم استخراج عدد من التماثيل والسيوف وعملة ذهبية قديمة من هذا الموقع.

(العامرية) من أهم المدارس اليمنية وهي من روائع منشآت الدولة الطاهرية..